للفاجعة ألف وجه ووجه: دماء هنا وأشلاء هناك، منازل تنهار وزجاج يتطاير، أطفال تموت وعمال إطفاء يتفحمون في دقائق تطول القائمة وتزداد الخسائر ساعة بعد ساعة وتنهار بيروت بشكلٍ مدوٍ وغير مسبوق.كيف يمكن أن نصف الفاجعة؟ أن ندركها؟ ناهيك عن توثيقها.

جاءت مجزرة مرفأ بيروت لتذكرنا بحرب أهلية كنا ظنناها قد ولت، وتوجا الدمار والدماء عامًا ثقيلًا على لبنان لا نعلم ماذا يحمل في الأشهر المتبقية منه؛ فمن تطويق سياسي ومالي لثورة 17 تشرين الأول 2019 إلى انهيار غير مسبوق لقيمة الليرة اللبنانية، وإفلاس أكثر من ثلثي المشاريع الاقتصادية اللبنانية إلى تسريح عشرات الآلاف من العاملين اللبنانيين والأجانب، والإغلاق الكامل للبلد بسبب جائحة فيروس كورونا، كانت بيروت تختنق بالفعل من الفقر والجوع والبطالة والحسرة قبل أن تختنق بفعل تفجير نترات الأمونيوم السامة في الأجواء.

كان للصدمة عشرات التجليات؛ فمن تعليقٍ رمزيٍ للمشانق التي تستهدف أقطاب الطبقة السياسية في لبنان، إلى احتلال مواقع بعض الوزارات وجمعية المصارف التي حرمت اللبنانيين من أموالهم، مرورًا بتحويل ساحة الشهداء إلى ميدان للاشتباك الدامي مع قوات الأمن التي لم تتردد في استخدام العنف المفرط ضد كل أشكال التظاهر منذ السبت 8 آب/أغسطس 2020، عبر اللبنانيون عن غضبهم ويأسهم من هذه السلطة الفاسدة وإصرارهم على القصاص منها، لا محاسبتها فقط. كما تجلت الصدمة في أشكالٍ أخرى، حيث توجه آلاف الشباب غير المسيس، والذي كان سلاحه الوحيد لاستيعاب الصدمة هو المبادرة بمساعدة ذويه في الأحياء المنكوبة والبنايات المنهارة والمستشفيات التي تئن بعد تجاوزها لطاقتها الاستيعابية. وتمثل الحداد كذلك في الخروج الفوري لمئات من المبادرات المدنية لتوفير الطعام والكساء والمأوى بعد شهورًا من الانطواء على الذات والحذر المجتمعي بسبب الانهيار الاقتصادي وقواعد التباعد الاجتماعي المفروضة بسبب الجائحة والخوف من غدٍ مفلس.

وكما عبر المصابون عن صدمتهم، حاول النظام السياسي اللبناني أن يبطئ من سقوطه الحر وانهيار شرعيته عبر استقبال الرئيس الفرنسي إيمانول ماكرون ونائب الرئيس التركي فؤاد أوقطاي والمشاركة السريعة في مؤتمر للمانحين بمساندة فرنسية، كما ألقى –كعادته- بعدد من الوعود الفارغة في إقامة لجنة وزارية للتحقيق السريع وانتخابات نيابية مبكرة، مُشعلًا من جديد غضب مواطنيه من تلكؤه وتآمره وتوانيه عن القيام بمسئولياته ووظائفه.

أمام هذا الحزن الجارف والغضب الساطع، قرر فريق معهد الأصفري أن يفتح مدونته للنشطاء والفاعلين من مدنيين وأكاديميين لبنانيين للإدلاء بشهادتهم المسموعة والمرئية وآرائهم في شكل مقالات للرأي، آملين بذلك أن نفسح أولًا منبرًا للحداد وثانيًا مساحة التضامن ودعم الثورة وتشجيع آليات المساءلة والمحاسبة، حتى ولو بعد حين.

يأتي هذا القسم الجديد من المدونة تحت عنوان **"بيروت: الغضب والتضامن"** ليؤكد التزام العاملين في المجتمع المدني عمومًا، ومعهد الأصفري للمجتمع المدني والمواطنة بالجامعة الأمريكية في بيروت خصوصًا على دعم مسيرة التغيير السياسي على اختلاف مساراته آملين في التواصل ومد يد الدعم للأطراف المتضررة من الفاجعة ماديًا ومعنويًا.

دينا الخواجة